

وَالْعَصْرِ ① إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ② إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا

وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالْحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ③.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

قَالَ اللَّهُ: يَسُبُّ بَنُو آدَمَ الدَّهْرَ، وَأَنَا الدَّهْرُ، بِيَدِي اللَّيْلُ

وَالنَّهَارُ.

يُمْكِنُنَا تَحْوِيلُ كُلِّ لَحْظَةٍ إِلَى مَكْسَبٍ أَبَدِيٍّ

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ الْكَرَامُ!

الْوَقْتُ نِعْمَةٌ عَظِيمَةٌ وَاخْتِبَارٌ مُهِمٌّ مِنَ اللَّهِ. فِي الْوَاقِعِ، طُولُ الْوَقْتِ وَقَصْرُهُ مُرْتَبِطَانِ بِالْمَشَاعِرِ الَّتِي نَعِيشُهَا. هُنَاكَ أَوْقَاتٌ تَكُونُ فِيهَا اللَّحْظَةُ تُسَاوِي عُمْرًا كَامِلًا، وَلَا تُرِيدُهَا أَنْ تَمُرَّ. وَهُنَاكَ أَوْقَاتٌ يَغْمُرُنَا فِيهَا الْحُزْنُ، وَتَتَمَنَّى أَنْ تَنْتَهِيَ عَلَى الْقَوْرِ. هُنَاكَ لَحْظَاتٌ تَمَلَأُ أَرْوَاحَنَا بِالسَّلَامِ، وَتُفْرِجُ قُلُوبَنَا. وَهُنَاكَ لَحْظَاتٌ أُخْرَى تَنْزِلُ عَلَيْنَا كَالْكَابُوسِ وَتُضَيِّقُ قُلُوبَنَا وَمَعَ ذَلِكَ، هُنَاكَ أَوْقَاتٌ مُعَيَّنَةٌ يَفْتَحُ فِيهَا اللَّهُ تَعَالَى أَبْوَابَ الرَّحْمَةِ وَالْمَغْفِرَةِ عَلَى مِصْرَاعَيْهَا، وَيَمْتَنِحُهَا لِعِبَادِهِ. شَهْرُ رَجَبٍ أَوَّلُ الْأَشْهُرِ الثَّلَاثَةِ الْحُرُمِ الَّتِي سَنَسْتَقْبِلُهَا يَوْمَ الْأَحَدِ الْمُقْبِلِ، وَلَيْلَةُ الرَّغَائِبِ الَّتِي سَنُدْرِكُهَا فِي اللَّيْلَةِ الَّتِي تَرْبِطُ بَيْنَ الْخَمِيسِ وَالْجُمُعَةِ، هُمَا هَدِيَّتَانِ مِنْ رَبَّنَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَنَا.

أَخِي الشَّابُّ!

أَنْتَ تَعِيشُ أَكْثَرَ فتراتِ حَيَاتِكَ إِيْمَارًا. أَنْتَ مِنْ بَيْنِ أُولَئِكَ الَّذِينَ ذَكَرَهُمُ نَبِيِّنَا ﷺ أَنَّهُمْ سَيَكُونُونَ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، عِنْدَمَا لَا يَكُونُ هُنَاكَ ظِلٌّ آخَرٌ<sup>1</sup>. فِي يَدِكَ أَنْ تَقْضِيَ هَذِهِ الْفَتْرَةَ مِنْ حَيَاتِكَ إِمَّا فِي أَعْمَالٍ مُفِيدَةٍ تَقُودُكَ إِلَى السَّعَادَةِ الْأَبَدِيَّةِ، أَوْ فِي أَعْمَالٍ خَاطِئَةٍ سَتَنْدَمُ عَلَيْهَا لَاحِقًا، فِي يَدِكَ أَنْ تَقْضِيَ وَقْتَكَ فِي بَرَكَتِهِ بِالسُّجُودِ بِجَنَهِتِكَ فِي الصَّلَاةِ، أَوْ أَنْ تُضَيِّعَهُ بِالْخَمْرِ الَّذِي يُغَشِّي عَقْلَكَ، وَالْمُخَدَّرَاتِ الَّتِي تُعْرِضُ صِحَّتَكَ لِلْخَطَرِ. فِي يَدِكَ أَنْ تَقْضِيَ أَيَّامَكَ بِالصِّيَامِ فَتَبْلُغَ الطَّمَأْنِينَةَ، أَوْ أَنْ تُحوِّلَ حَيَاتَكَ إِلَى سِجْنٍ بِالرِّبَا وَالْفُجُورِ، كَمَا أَنَّ فِي يَدِكَ أَنْ تُصْبِحَ جَارًا لِنَبِيِّنَا ﷺ فِي الْعَالَمِ الْأَبَدِيِّ، مِنْ خِلَالِ الْقِيَامِ بِعَمَلٍ صَغِيرٍ

مِنْ أَعْمَالِ الْخَيْرِ أَوْ إِسْعَادِ يَتِيمٍ، أَوْ أَنْ تُحوِّلَ حَيَاتَكَ وَحْيَةً أَحْبَابِكَ إِلَى سِجْنٍ بِالْقَمَارِ وَالْعَابِ الْحَظِّ الَّتِي تُدْمِرُ الْبُيُوتَ.

أَيُّهَا الْآبَاءُ وَالْأُمَّهَاتُ!

وَفِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ فَإِنَّ أَطْفَالَنَا أَمَانَةٌ فِي أَعْنَاقِنَا. إِنَّ السَّبَبَ الرَّئِيسِيَّ لِقُوعِهِمْ فِي الْأَخْطَاءِ وَالذُّنُوبِ هُوَ الْإِهْمَالُ. يَتَوَقَّعُ أَطْفَالُنَا مِنَّا أَنْ نُقَدِّرَهُمْ، وَأَنْ نَكُونَ إِلَى جَانِبِهِمْ فِي الْأَوْقَاتِ الْجَيِّدَةِ وَالصَّعْبَةِ عَلَى حَدِّ سَوَاءٍ. نَعَمْ لَقَدْ حَلَّتْ عَلَيْنَا أَيَّامٌ تَهْطِلُ فِيهَا أَمْطَارُ الرَّحْمَةِ بِغَرَارَةٍ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ. إِنَّ الْأَشْهُرَ الثَّلَاثَةَ الْحُرُمِ وَلَيْلَى الرَّغَائِبِ هِيَ مَنَاحٌ رُوحِيٌّ يَفْتَحُ بَابَ التَّوْبَةِ، وَنَافِذَةٌ لِلْأَمَلِ، وَبَلَسَمٌ شَافٍ لِلْقَلْبِ، إِنَّ الْإِسْتِفَادَةَ الْقُصْوَى مِنْ هَذِهِ الْأَوْقَاتِ الْمُبَارَكَةِ، بِقَصَائِهَا جَنِّبًا إِلَى جَنِّبٍ وَقَلْبًا إِلَى قَلْبٍ مَعَ أَطْفَالِنَا، وَتَقَاسُمِ نَفْسِ الْمَائِدَةِ فِي الْمَنْزِلِ، وَنَفْسِ الصَّفِّ فِي مَسَاجِدِنَا، سَيَكُونُ أَكْبَرَ مَكْسَبٍ لَنَا.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ الْأَعْرَاءُ!

يُخْبِرُنَا نَبِيُّنَا الْحَبِيبُ ﷺ فِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ أَنَّ رَبَّنَا الْعَظِيمَ قَالَ: "يَسُبُّ بَنُو آدَمَ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ، بِيَدِي اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ"<sup>2</sup>. نَعَمْ، أَيُّهَا الْإِخْوَةُ وَالْأَخَوَاتُ الْأَعْرَاءُ! إِنَّ مِنْ وَاجِبِنَا أَنْ نُذْرِكَ قِيَمَةَ الْوَقْتِ، وَأَنْ تُحوِّلَ كُلَّ لَحْظَةٍ إِلَى مَكْسَبٍ أَبَدِيٍّ، وَأَنْ تُمَضِيَ حَيَاتَنَا فِي طَاعَةِ رَبِّنَا وَعَلَى خُطَى نَبِيِّنَا ﷺ، وَأَنْ نَكُونَ فِي انسِجَامٍ مَعَ دَلِيلِنَا فِي الْحَيَاةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَأَنْ نُبَارِكَ بَيُوتَنَا بِنُورِهِ، وَأَنْ نَسْعَى جَاهِدِينَ لِنَلِيقَ رِضَا رَبِّنَا، لَا أَنْ نَتَّبِعَ أَهْوَاءَنَا وَرَعَبَاتِنَا، وَأَنْ نَتْرُكَ عَادَاتِنَا السَّيِّئَةَ وَرَاءَنَا، وَنَحْمِيَ أَنْفُسَنَا وَأَطْفَالَنَا مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ.

أَوَدُّ أَنْ أَهْنِئَكُمْ مِنَ الْآنَ عَلَى الْأَشْهُرِ الثَّلَاثَةِ الْحُرُمِ وَلَيْلَةِ الرَّغَائِبِ، وَأَنْ أَخْتِمَ خُطْبَتِي بِسُورَةِ الْعَصْرِ الَّتِي تُرْشِدُنَا إِلَى طُرُقِ تَحْوِيلِ حَيَاتِنَا الرَّائِلَةِ إِلَى سَعَادَةٍ أَبَدِيَّةٍ: "وَالْعَصْرِ ① إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ② إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالْحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ③"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> صحيح البخاري، كتاب الأذان، 36.

<sup>2</sup> صحيح البخاري، كتاب الأدب، 101.

<sup>3</sup> سورة العصر، 103/1-3.

